وزارة المالية والقرض العقاري

فائق بلو

أقدمت وزارة المالية مشكورة باطلاق القرض العقاري والذي باشر باستلام المعاملات نهاية العام المنصرم ٢٠٠٦. وكانت بشرى سارة لكل ذوي الدخل المحدود أو من هو بحاجة الى توفير سكن له، وقد استفادت شريحة الموظفين من هذا القرار الجبار والذي به يتحقق حلم الكثير من العراقيين وخصوصا من أتعبهم الزمان وأنهكتهم الحروب الضارية وخرج منها دون أي مكسب سوى سلامة روحه. وبعدها بدأ يكد ويعمل سنينا طوالا براتب ثلاثة آلاف دينار، وبعد الدوام يعمل أي عمل اخر كي يجني قوته عائلته فقط، لا ليوفر له سكنا أو أن يعيش حاله حال أي ميسور. وهكذا بعد تعديل الرواتب وبسلم ١٠٠-٢٠٠-٣٠٠ ألف دينار، بدأ يتنفس قليلا ويعوض حسرات الزمان "لو العمر يمضي ولا يعود" بل بدأ يفكر بطريقة أوسع قليلا كي يوفر له السكن او يبني له دارا وخصوصا الذين وزعت لهم قطع سكنية من قبل الدولة في زمن النظام السابق ولم يستطع تحقيق مأربه. ولما باشر بعملية البناء في حين كان السوق والحالة التجارية تخدمه. الا ان الغلاء تفشى لأسباب كثيرة بسبب الوقود وغيرها، جعل هذا الموظف يرجع خطوات الى الوراء وبدأ ينسق راتبه للمعيشة الشهرية فقط تاركا السكن والمشاريع الأخرى. وهنا يسمع بالقرار العظيم من وزارة المالية بإطلاق قرض عقاري بالسلم الخاص بمساحة البناء دون التطرق الى أمور أخرى، فهرع الى إكمال المعاملة موقعا على كل المستندات دون التقيد بأي شرط كان ومنها الأرباح غاضا النظر عنها، كي يستلم القرض ويوفر المأوى له ولعائلته المشردة والتي هي تحت رحمة المؤجرين أو الاختناق السكاني في البيت الواحد لأكثر من شقيق او عائلة. وبعد إكمال المعاملة بدأ يخطط لإتمام مشروع البناء ومنهم من اقترب من جهات أخرى بغية استلام الثلاثين مليون دينار حسب ما أعلنه المصرف العقاري لشموله به لكون مساحة بنائه أكثر من ٢٠٠م٢. وفي مطلع عام ٢٠٠٧ فوجئت هذه الشريحة وأربكت وبلبلت كل حساباتها بالقرار الذي نص على طريقة توزيع القرض من ناحية التدرج الإداري وهو المحافظة ٣٠ مليون، القضاء ١٨ مليون، والناحية ١٠ ملايين. وهنا أود ان أعلق على هذا الإجراء كي يأخذ مكانا مهما في الوزارة المعنية وحتى في البرلمان العراقي والذي شكل خطرا على هؤلاء المشمولين ويحق لي القول وإيجازه بالنقاط التالية لمعرفة سبب هذه الفروقات في التسليم:

١. هل هناك جنسية عراقية من الدرجة الأولى والثانية والثالثة؟، ٢. هل نحن أهل الناحية والقضاء تسلمنا الدولة مواد إنشائية مدعومة وبأسعار رمزية، ام تتوفر في نواحينا مناجم للحديد والخشب والطابوق والرمل.. بشكل مجاني لا نتحمل منها سوى النقل من المنجم الى مكان العمل؟، ٣. إن معامل الأسمنت والحديد والرمل والجص.. الخ وكافة مواد البناء كلها في مراكز المدن ولدى شرائها من المدينة نتحمل مبالغ إضافية وخيالية لنقلها الى نواحينا، ٤. أود إضافة موضوع آخر وهو الأيدي العاملة الفنية ولندرتها في الناحية يضطر أهلها جلبهم من المحافظة وبهذا تكون الأجور اغلى من عملها داخل المحافظة، ٥. إن للتوزيع السكاني أهمية قصوى وسحب المواطن من المدن الرئيسة ليستقر في القرى والأرياف لينتج ويعمل وينمي عملية الزراعة وتربية الحيوانات.. وفي الوقت نفسه تخفيف الاختناقات في مراكز المحافظات. وهذا يحتاج الى دعم وتسهيلات من قبل الدولة، وتعديل هذا القرار جزء من حل هذه المشكلة، ٦. إن الارتفاع الحاصل في الأسعار "أسعار المواد الإنشائية" سبّب عدم جدوى العشرة ملايين دينار لإكمال الدار ما يخلق عجزا آخر في الأسرة، ٧. إذا كان رد المسؤولين على هذا التقرير أن قطعة الأرض في المدن الرئيسة أغلى من الأقضية والنواحي، فالجواب ان القرض ليس لشراء الارض بل لمن يمتلك قطعة الأرض ويشيد عليها دارا وقد قسمت عملية شمول القرض قياسا بنسبة البناء المشيد وليس على غرار آخر.

إن ما أود إضافته هو ان كلفة إنشاء الدار في النواحي والاقضية أكثر من بنائها في مراكز المدن، وهم بحاجة الى الدعم المادي اكثر من غيرهم بسبب دخلهم المحدود والنسبة العالية منهم موظفون في دوائر الدولة وكما ذكرنا قد انهك كاهلهم، ولا يملكون سوى الراتب الشهري يعينهم لمعيشتهم. وبها أود ذكر بعض الملاحظات منها أن السلم الراتبي لو عمل به أليس هو الأجدر بان يأخذ بالمناطق الادارية "محافظة- قضاء- ناحية" او مدة الخدمة وأنا واحد منهم لدي من الخدمة ٢٨ سنة واسكن ناحية ولا املك أي شقة او دار سوى الايجار ومقدم على القرض ومستعد لدفع الأقساط الشهرية لاستلامي القرض الكامل "٣٠ مليون دينار" لإكمال الدار وبعكسها سأبقى انا والمئات إن لم أقل الآلاف مثلي بلا سكن، هل هذا هو جزاء من ضحى لهذا الوطن وهذه الارض؟.. ليستلم ١٠ ملايين دينار ومن له خمسة سنوات او اكثر بقليل يستلم ٣٠ مليون دينار لينشئ دارا ويسكنه لأنه من مركز المدينة!، وحتى ليس بإمكانه تسديد القسط الشهري اعتمادا على راتبه.

ان ما يشمله هذا التقرير هو جعل العراقي عراقيا اينما يكون سواء في العاصمة او اصغر قرية عراقية. وحقوقهم متساوية في الدولة حسب الدستور ولا يوجد افضلية في المواطنة مثلما هي الواجبات مترتبة علينا. لأن لكل عراقي تشمله كافة الحقوق اينما وجد ومنها القرض العقاري. ليتسنى لنا وانا منهم اكمال دارنا ونحن متجاوزين عتبة الخمسين سنة لنرى بعيوننا ساكنين دارا ساعدتنا الدولة على انشائها والا سيكون قرار مجحف بحقنا نحن ونعتبر منسيين ابد الدهر. علما ان ما اقدمت عليه وزارة المالية حسب تقديراتها هو لصالح المستلف ولكن ليس بما يتصوره البعض من المخمنين، لأن البناء حاليا في النواحي يكلف أكثر مما هو في المدن بنسبة ٥-١٠% والبناء من الطراز الحديث، وليس صرائف أو غرف طين ليكلف الكمية المخصصة للصرف.

بعد المراجعة في هذا القرار وتعديله ان شاء الله يرجى شمول كافة المستفيدين أي المستلمين لأنهم يعانون نفس المشكلة. وما جعلني اكتب هذه السطور ليست الا الديمقراطية الحقيقية التي تجعل من الفرد ان يطالب بحقوقه وحريته والمسؤولون الذين استلموا مسؤولياتهم انتخبناهم بإرادتنا وجاءوا لرفاهنا ومنح حقوقنا وبذلهم المستمر لإسعاد كل عراقي اينما وجد وان شاء الله عن قريب نسمع خبر تعديل هذا القرار ونحن لكم شاكرين.

الحفرة البايولوجية

عصام سليمان - تلكيف

إذا كنت صديقا للبيئة ومطلعا على أخبار الأرض وما تعانيه اليوم من مشاكل كبيرة وتحديات جمة خصوصا تلك المتعلقة بالقضايا المصيرية للبشرية كلها مثل انبعاث الغازات الملوثة وظاهرة الدفيئة والتي من أهم مسبباتها زيادة النشاط الإنساني خصوصا في المجال الصناعي وهذا دفع الكثير من الغيورين على سلامة البيئة إلى مناشدة كافة دول العالم لتحديد حجم الغازات الضارة المنبعثة بل وصل الوعي البيئي لدى بعض الشعوب المتقدمة إلى تقييد نسب بعض تلك الغازات من خلال محاولات شخصية كالحد من استخدام السيارات وتشجيع التوجه إلى بعض وسائط النقل البسيطة والتي تكون فيها قوة الإنسان وقدرته البدنية هي المحرك الأساسي لها بدل الوقود ولكن في مجتمعات أخرى يختلف الوضع تماما بسبب النقص الحاد في كل أنواع الوقود المعروفة فمثلا نحن في العراق لم يتبق لدينا شيء لنحرقه بعد أن أستنزف الناس كل مخزوناتهم من الخشب والأثاث القديم ودفعتهم أسعار الوقود العالية جدا إلى الاعتماد على أنفسهم وعلى مصادر الوقود البدائية في الطبخ وتحضير الخبز والحصول على الماء الحار بل وصل الأمر إلى درجة متقدمة من استغلال الفضلات وخصوصا الصلبة فما أن تفرغ علبة كارتون أو عبوة بلاستيكية وترمى خارجا للتخلص منها تجد عشرات الأطفال يتصارعون مع بعضهم من أجل الحصول عليها ليذهبوا إلى بيوتهم برأس مرفوع وكأن سلة المحروقات الجديدة هي غنيمة لا تقدر بثمن ولكن هذا لا يمنع من وجود أناس في العراق يشاركون العالم في قلقه على البيئة ويعملون بشكل جدي وفطري دون أن يتأكدوا من صحة توجه تلك الجهود ومدى أهميتها ومن هذه المبادرات الفردية فكرة "الحفرة البايولوجية" والتي من خلالها يمكن لكل منزل التخلص من كافة فضلاته العضوية بشكل ذاتي يبدو سليما لحد الآن كتجربة ذاتية يمكن من خلالها المساهمة في تقليل الضغط على دوائر البلدية المختصة بشؤون النظافة ولكن لا يمكن تطبيق هذه الفكرة ألا بتوفر جملة من الشروط من أهمها أن تمتلك داخل المنزل حديقة متوسطة الحجم أو كبيرة لا تقل مساحتها عن ١٠ متر مربع تكون مكشوفة أمام الهواء وأشعة الشمس. وتتلخص الفكرة بأن تقوم العائلة بفرز فضلاتها المنزلية بحيث تجمع العضوية منها على حده وهذه تشمل سلسلة طويلة تشكل ربما أكثر من نصف الفضلات المنزلية تبدأ بالفائض من الأطعمة ولا تنتهي بالقشور والمواد المتخلفة عن استخدام الفواكه والخضراوات في الطعام حيث تجمع كلها بشكل يومي ويتم مسبقا حفر خندق عمودي بطول متر أو أكثر وعمق ٣٠ سنتيمترا حيث يتم دفن فضلات أسبوع كامل أو أقل في كل حفرة "حسب حجم فضلات كل منزل" وبعدها يتم الحفر في مكان أخر بعد أن يغطى الموقع الأول بالتراب ويزرع حسب الرغبة أو يترك إذا كانت الحديقة كثيفة الأشجار وهكذا تتكرر العملية بشكل مستمر وفي مكان أخر إلى أن يتم العودة إلى نفس الموقع القديم حيث تجده بعد عدة أشهر قد أنخفض كثيرا عن مستوى السطح العام وكأنك لم تدفن شيئا هناك ومن إيجابيات هذه الفكرة هو التخلص من كل روائح العفونة والتحلل التي تستشري في فضلات المنزل وتقليل حجم تلك الفضلات بشكل كبير فضلا عن تزويد الحديقة المنزلية بسماد عضوي طبيعي يزيد من خصوبتها ويغني صاحبها عن التوجه إلى استخدام السماد الكيمياوي.

قد يكون لهذه الطريقة مساوئ لم ألحظها منذ تطبيقها قبل أكثر من سنتين كتجربة خاصة ولم نستشعر أية روائح كريهة وبالرغم من مقاومتها من باقي أفراد العائلة في البداية لكنها نالت استحسان الجميع في النهاية ولا زلنا نطبقها بحذافيرها علما بأنها لا تخدش الأنظار إذ يمكن لمطبقها أن يجمع الفضلات إلى أن تصل حجما معينا ويدفنها في اللحظة التي يشاء أي لا يترك الحفرة مفتوحة طوال الأسبوع ولكن الأمر وتطبيقه من عدمه مرتبط كما نوهنا بالبداية بمدى شعور الإنسان بمسؤوليته تجاه البيئة وتلوثها ومساهمته في تحدي كل المشاكل والمخاطر التي تجابه الإنسانية مع احتمال وجود مساوئ نشكر كل من يكشف عنها وينير دروب أصدقاء البيئة في العراق.

من اعلام لغة الضاد

الأب انستاس الكرملي

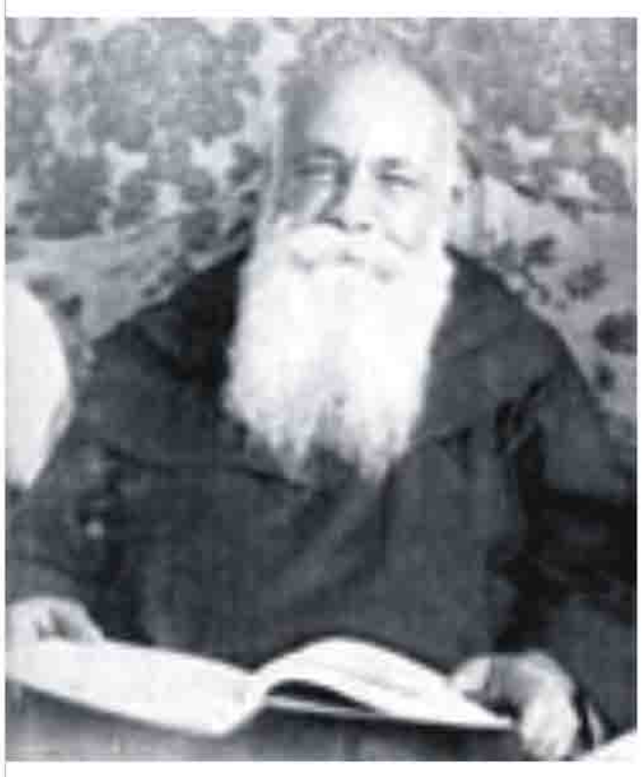

اعداد: اديسون هيدو *

ولد الأب انستاس ماري الكرملي في الخامس من آب ١٨٦٦ ببغداد، لأب لبناني وهو ميخائيل عواد وأم بغدادية وهي مريم أوغسطين وسمي "بطرس"

نشأته ودراسته

ساهمت في تنشئته ورعاية مواهبه ثلاثة أقطار، هي العراق مسقط رأسه، ولبنان موطن أبيه، واوربا حيث تلقى علومه اللاهوتية في معاهدها. لقد أمضى الأب انستاس طفولته ببغداد، ثم ما لبث إن أدخله ذووه "مدرسة الآباء الكرمليين" حيث تلقى دراسته الابتدائية ومن ثم التحق بعد اجتيازه مرحلة الدراسة الابتدائية بمدرسة الاتفاق الكاثوليكي ببغداد فتخرج فيها عام ١٨٨٢، ومنذ كان طالبا كانت بوادر النبوغ والذكاء والأمعية تلوح على مخيلته، وتظهر عليه آثار الفطنة، كان فذا بين أقرانه ما جعله موضع احترام وثقة معلميه واهتمامهم.

عهدت إليه إدارة مدرسة الآباء الكرمليين مهمة تدريس اللغة العربية التي برع فيها ونبغ نبوغا استحق عليه الإعجاب وحاز التقدير، وهو لما يبلغ السادسة عشرة من عمره، ثم تولى التدريس في مدرسة الراهبات، ولما ذاع صيته وتجلت قابلياته، طلب اليه بعض أفراد الجالية الفرنسية ببغداد أن يلقنهم دروسا في اللغة العربية، وقد أثبت جدارة ومقدرة في كل عمل تولاه فنال الرضى والاستحسان من لدن الجميع. وما إن حلت سنة ١٨٨٦، إلا وحزم أمره فسافر إلى لبنان وكان عمره يوم ذاك عشرين سنة، فدخل المدرسة الاكليركية ببيروت وكانت بإدارة الآباء اليسوعيين، وانكب على دراسة اللغتين اللاتينية واليونانية سنة واحدة تسنى له خلالها الإطلاع على الكثير من مظاهر الحركة الأدبية والنشاط الثقافي والعلمي بلبنان .

كما اتصل بعدد من رجال الأدب والثقافة وقرأ لهم من أمثال ابراهيم وناصيف اليازجيين واحمد فارس الشدياق واديب اسحاق وغيرهم من أركان النهضة العلمية والثقافية، فاستقى ما شاء له من منابع المعارف والعلوم، ولما وجد في نفسه ميلا إلى الاستزادة من المعرفة، تاقت نفسه إلى السفر إلى بلجيكا فغادر بيروت عام ١٨٨٧، حيث ادخل في دير الآباء الكرمليين في دير "شيفر يمون" الواقع على مقربة من مدينة ليبج من كبريات المدن البلجيكية، وفي هذا الدير أمضى سنتين في دراسة متواصلة، لم يلبث "بحكم أنظمة الدراسات الدينية يومئذ" إن انتقل إلى دير آخر من أديرة الأباء الكرمليين في مونبليه بفرنسا، حيث أمضى ست سنوات في دراسة العلوم الفلسفية واللاهوتية وأصول اللغة. وفي عام ١٨٩٤ رسم قسيسا "كاهنا" بأسم "انستاس ماري الكرملي" فغادر فرنسا عائدا إلى أرض الوطن وفي طريقه تاقت نفسه إلى زيارة الأندلس، أو الفردوس المفقود، لتفقد مواطن الآثار ومعالم الحضارة العربية. وفي هذه السنة نفسها عاد إلى بغداد، فتولى بعد وصوله، إدارة المدرسة الكرملية ببغداد إضافة إلى اضطلاعه بتدريس اللغتين العربية والفرنسية فيها مدة أربع سنوات، ولما وجد إن الانهماك في التدريس يستغرق الجزء الأكبر من وقته ويصرفه عن البحث والاستقصاء، ترك التدريس وعكف على البحث والتأليف.

طبائعه

نشأ هذا الانسان نشأة ناسك متعبد، زاهد، لا يملك من متاع الدنيا شيئاً، لا أسرة له ولا اولاد بل اولاده في الروح كتبه وغزارة إنتاجه، كان ضخم الجثة، قوي البنية، جبلي القوام، أطلق للحيته العنان فجاءت كثة طويلة ومهيبة، له صوت كأنه الزئير، وضحكاته كانت تشق انحاء الدير، وغضبه في ذات الوقت وانفعاله في ما يراه انحرافا يصل حد استعماله عصاه عندما يرى فاحشة ترتكب بحق اللغة فإنه يكرر القول "إذا لم يتم تصحيحها فاني سأقاطع صاحبها، بل سأبصق عليه!!"، وطالما استعرت الحملات الكتابية بينه وبين فطاحل عصره وادت بعضها الى المقاطعة التامة، وامثال تلك المساجلات : مع عبد الله البستاني، لويس شيخو اليسوعي، جبر ضومط، أمين معلوف، أسعد داغر، ابراهيم اليازجي وغيرهم .

اما من ناحية التدبير والمال فقد كان مقتصداً، يحسب لكل شيء حسابه وربما لهذا السبب نعته البعض بالبخل، لكنه بتلك العقلية الحسابية، استطاع ان يشتري آلاف الكتب ويقوم بعدة رحلات الى سوريا، ومصر، ولبنان، وفلسطين، وأوربا، من اجل أبحاثه، وكم كان يرنو لاستقباله علماء وفلاسفة عصره من المصريين والسوريين واللبنانيين والفلسطينيين أمثال أحمد باشا تيمور، يوسف أفندي سركيس، قدري طوقان وغيرهم.

مجلسه الأسبوعي: ذاع صيت مجلسه الأسبوعي "مجلس الجمعة" في أنحاء المعمورة واصبح قبلة اصحاب المكانة المتميزة في الأدب، واللغة، والفلسفة، وكم قصده زائرون للعراق من العلماء المستشرقين والباحثين ذوي الباع الطويل في علم اللغات والتاريخ، كان هناك شرطان وضعهما العلامة أمام رواد مجلسه، وهما تحريم النقاشات السياسية والدينية، وقد كانت فكرته تلك ذكية جدا لتجنب الاحتكاكات والإشكالات التي تحصل من الخوض في الموضوعين اعلاه. اما الانصراف الى الأدب وأبحاث اللغة فهي بحد ذاتها مكملة وموحدة، ومن النادر حدوث انقسامات وانشقاقات فيها.

من جملة حضور مجلسه الأسبوعي، أسماء أدبية لامعة، امثال يوسف غنيمة، حامد الصراف، رزوق عيسى، كاظم الدجيلي، عبد الرزاق الحسني، هاشم الوتري، مصطفى جواد، مهدي مقلد، محمد رضا الشبيبي، روفائيل بابو إسحق، روفائيل بطي، الملا عبود الكرخي، عباس العزاوي.. وغيرهم كثيرون، كان مجلس الجمعة يبدأ في الثامنة صباحا، وينتهي في الثانية عشرة، عندما تشق أركان الدير، دقات ناقوس الكنيسة، مؤذنة حلول فترة الظهيرة. عندها ينفرط عقد الزائرين ليلتئم مرة اخرى في الجمعة التي تليها، ولعشرات السنين كان الجو الهادئ والمنظم الذي يوفره الأب العلامة بمثابة حافز ودافع، للمزيد من النقاش الهادف، والبحث المتواصل، في شتى المواضيع المطروحة، وغالبا ما كان انستاس يستعين بمصادره من الكتب، التي تعد بالآلاف في خزانته والتي عني بجمعها وترتيبها ووضع الهوامش والخطوط والملاحظات عليها، في إقناع الحاضرين برأي معين. كما كان يوفر طاولة وعليها الكتب والمجلات والجرائد المحلية والعربية والأجنبية الصادرة حديثا في مختلف اللغات، ليطلع عليها مجلسه الموقر الذي كان بمثابة مجمع علمي عراقي مصغر

اللغات التي يحسنها

إضافة إلى لغته العربية التي أحبها واشتهر بعلومها ومفرداتها، فقد أتقن الأب عددا من اللغات العالمية الحية، الشرقية منها والغربية، قديمها وحديثها، فمن اللغات التي كان يحسنها الفرنسية والانكليزية والايطالية واليونانية واللاتينية والأسبانية، ومن اللغات الشرقية التركية والفارسية والحبشية.

كما اتقن عددا من اللغات السامية كالسريانية والعبرية والمندائية "الصابئية"، كما تعلم الأرمينية في منفاه في الأناضول في سنة ونصف .

نشاطه في المحافل العلمية

حظى الأب انستاس بمنزلة كبرى ومكانة رفيعة بين علماء عصره غربيين وشرقيين على حد سواء، فعرف بدقة البحث والدراسة العميقة وطول الأناة في التأليف مما كان ينشره في المجلات العربية، ونظيراتها في اوربا، فطارت شهرته في الأوساط العلمية في المشرق والمغرب، فأخذت الجمعيات والمحافل العلمية تتسابق على الظفر بعضويته .

١- ففي عام ١٩١١ تم انتخابه عضوا في مجمع المشرقيات الألماني .

٢- ولما تأسس المجمع العلمي العربي بدمشق أنتخب عضوا مراسلا عام ١٩٢٠ وظل فيه حتى وفاته، فنشر العديد من البحوث والمقالات في مجلة المجمع المذكور، وبعد تأسيس مجمع اللغة العربية "مجمع فؤاد الأول سابقا" عام ١٩٣٢ كان من بين أعضائه البارزين.

٣- انتخبته وزارة المعارف "التربية اليوم" عضوا في لجنة التأليف والترجمة من سنة ١٩٤٥ إلى سنة ١٩٤٧.

٤- اختاره المجمع العلمي العراقي "المحفي العراقي كما كان يحلو له أن يسميه" عضوا.

٥- أختاره "المجمع العلمي" السويسري في جنيف عضوا فيه .

٦- اختير من بين منظمي "المعرض الفاتيكاني" في روما سنة ١٩٣٤.

مؤلفاته

١-الفوز بالمراد في تاريخ بغداد، "طبع ببغداد عام ١٩١١"، ويتناول تاريخ بغداد منذ سقوطها بيد هولاكو حتى عام ١٤٩٥ م .

٢- النقود وعلم النميات "طبع في القاهرة ١٩٣٩" ويبحث في تاريخ النقود عند العرب.

٣- أرض ما بين النهرين، وقد نقله من الانكليزية لمؤلفه بيفن، وبعد وفاة الأب نشره سنة ١٩٦١ الأستاذ حكمت توماشي الموظف في مكتبة المتحف العراقي .

٤- خلاصة تاريخ بغداد "طبع بالبصرة عام ١٩١٩ ".

أما كتبه التاريخية والبلدانية التي لا زالت مخطوطة، فأهمها :

١- متفرقات تاريخية .

٢- اللمع التاريخية والعلمية بمجلدين وقد جمعها ما بين ١٨٩٥ - ١٩٠٧ .

٣- حشو اللوزينج وهو بحوث وتعليقات تاريخية .

٤- الأنباء التاريخية .

٥- مختصر تاريخ العراق .

وما نشره الأب في المجلات والصحف عن المدن العراقية وتواريخها وخططها، يؤلف في الحقيقة مكتبة بلدانية من الطراز الأول، فلم يترك شاردة ولا واردة تتعلق بمدينة من المدن قديمها وحديثها إلا وسجلها، ومن أهم منجزاته "المعجم المساعد" وكذلك إصداره مجلة "لغة العرب".

وفاته

بعد عودته إلى بغداد اشتد عليه المرض، فتردت صحته وانحطت قواه، نقل على أثرها إلى المستشفى التعليمي ببغداد ، فلم يلبث طويلا حتى وافاه الأجل صباح يوم الثلاثاء في اليوم السابع من كانون الثاني ١٩٤٧.

* موقع زهريرانت

مدينة كشكر: أول مدينة مسيحية في بلاد الرافدين

فؤاد يوسف قزانجي *

كشكر أو كسكر أقدم مدينة مسيحية في العراق، لعل معناها في الآرامية عامل الزرع. بنيت على شاطئ دجلة في مجراه القديم جنوب العراق قرب الكوت، وتبعد عن بغداد زهاء ١٧٠كم. وكانت تقع شرق مدينة واسط التي بناها والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي في مفتتح القرن الثامن الميلادي "٧٠٢م".

من المرجح ان كشكر كانت مدينة آرامية بنيت قبل الميلاد على أنقاض بلدة "خسرو سابور" وكانت تسمى "بيت كشكراتي" (١)، وتقع وسط كورة آرمايي في زمن الفرثيين التي تشمل حوض دجلة الأدنى من أطراف النهروان الى البحر "الخليج العربي". اشتهرت المدينة بمنتجاتها من الحبوب كالحنطة والشعير والأرز، كما ذاع صيتها بتربية الدجاج والبط وورد ثناء على دجاجها في كتاب الحيوان للجاحظ.

وكانت كشكر أول مدينة في بلاد الرافدين تجاوبت مع دعوة مار ماري تلميذ الرسول مار أدي، حيث اهتدى أهلها الى المسيحية قبل ان يهتدي أهل ساليق "سلوقية" والذي كان قد وجد في بادئ الأمر صعوبة في هدايتها بعكس كشكر. وكان أهلها ذوي علم وأدب وذكاء وحذاقة لم يبلغ اليها غيرهم، وكان مار ماري قد وجد في كشكر معبدا يسجد فيه للشيطان ما يشبه النسر وفيه تمثال يدعى "تيشار". وقد صنع مار ماري في كشكر أعمال بر وقد شفى بعض المرضى حتى ان كاهن المعبد نبذ الأصنام، واقتدى به كثيرون من أهل المدينة فاعتنقوا عبادة الله الحي. وبنى مار ماري لهم كنيسة قبل ان ينحدر الى ديرقوني وميشان ثم يعود الى ساليق.

ونظرا لأهمية كشكر التي أصبحت مركزا مشعا للمسيحية فقد اعتبر مطران كشكر نائبا للمطران أو لرئيس الأساقفة في بلاد الرافدين وذلك عند شغور كرسي ساليق- طيسفون مركز رئيس الأساقفة. وحدث انه في فترة خلافية بين الأساقفة شغل كرسي الجاثليق مطران كشكر لفترة ثلاث سنوات "٥٦٧-٥٧٠م" (٢).

كان قد أقيمت في كشكر عدة أديرة منها الدير الذي أنشأه الراهب "راموي" وكذلك الدير الذي أقامه "قفرا" قرب نهر دجلة بجوار "جيلتا" و"غائن". كما أسس مار سركيس دودا ديرا "بجبل" كشكر. وفي أيام مار سركيس كان حنينا الحدياني قد ذهب الى نصيبين حين جهد في الدعوة والهداية بين الوثنيين، وألف كتبا عدة وتاريخا كنسيا ثم قدم كشكر وهناك قضى نحبه (٣).

ومن الشخصيات في مدينة كشكر في القرن الثالث الميلادي "القديس" ارخيلاوس الكشكري الذي كان أسقفا لكشكر ولعله أول أسقف لها. صنف بالسريانية كتابا يحتوي على جدل جرى بينه وبين الهرطوقي "مانسس" الذي كان قد أنكر على المسيح صحة ناسوته، وأسم الكتاب "ضد مانسس" (٤).

وكان مار يوحنا الذي أصله من مدينة كشكر ايضا ذهب وأنشأ ديرا في "جبل" اوروك (٥).

كان الملك الساساني اردشير الأول "٢٢٤-٢٤١" قد احتل كشكر ودمرها انتقاما لمسيحيتها وصمودها ضد هجومه الكاسح على العراق، لكن بعد حين عاد العديد من سكانها، وازدهرت من جديد. وكان "تومرصا من كشكر" قد عقدت له رياسة الأساقفة في طيسفون وكان يطوف المدن ويعمر البيع أي الكنائس، وكان يعرف غوامض الناس. وبقي في هذه الرئاسة مدة سبع سنين ودفن في طيسفون (٦).

وكان مار سبريشوع قد امره الملك الفارسي بالذهاب والبقاء في مسقط رأسه على أثر خلاف بينه وبين المطارنة الآخرين. فلما ذهب الى كشكر عمد الى بناء دير في الموضع المعروف باسم "بزاد نهروانا" وقام بهداية الكثيرين الى المسيحية هناك (٧). وفي القرن السادس الميلادي برز الراهب ابراهيم الكبير الكشكري الذي تضلع في علوم الدين وقصد الحيرة ثم الاسكندرية وسيناء وتعلم هناك أنظمة الرهبان والزهاد ثم عاد. ومن مصنفاته "سفرة في قوانين الحياة النسكية" طبعه المستشرق شابو في روما سنة ١٨٩٨ .

وفي زمن خسرو "كسرى" الأول انوشروان "٥٣١-٥٧٩" وسعت كورة كشكر وأضيف عليها كورة بهر سير وكورة هرمزدخره وكورة ميسان وجُعلت طسوجين هما خسروسابور والزندورد، فلما مصّر المسلمون الأمصار فرقوها.

واشتهرت كشكر بزكاء الأرض وجودة الغلات، وكانت مدينة كبيرة وواسعة خراجها في زمن الاسلام اثنى عشر ألف مثقال كما يذكر ياقوت الحموي، وكان أهلها لا يريدون الخروج سيما وان معظمهم مسيحيون يدفعون الجزية، لكن الشاعر عمران بن حطان سخر من أهلها قائلا: (٨)

فلو بعثنا بعض اليهود عليهم
يؤمهم أو بعض من تنصرا
لقالوا رضينا إن أقمت عطاءنا
وأجريت ما قُدسن من برّ كسكرا

سميت كشكر في زمن الاسلام بكسكر، وكانت المدينة آنذاك تتألف من أربعة مناطق هي الزندورد شمالا والثرثور والجوزار والأستان. وكان يجري فيها ثلاثة جداول من الفرات هي صلة وبرقة والريّان. دعا المسلمون أهلها بالنبط أي الآراميين أو السريان. وقد ورد ان الحجاج منع بقاء النبط في واسط. وقد نقل الحجاج الى قصره في واسط أبوابا من بعض عمارات أديرة كسكر مثل دير سباط ودير مار سرجسان "فضج أهل المدينة المسيحيين وقالوا قد أمنا على مدننا وأموالنا، فلم يلتفت اليهم" (٩).

أهملت مدينة كشكر، ثم تداعت في القرن الحادي عشر للميلاد، ولم يبق منها الآن غير آثارها التي لم يجر التنقيب عنها.

المصادر:

(٣) ايشو عدنا ح "ت ٨٦٠" الديورة في مملكتي الفرس والعرب أو العفة، نقله الى العربية الأب بولس شيخو. الموصل: مطبعة النجم، ١٩٣٩ "ص٥٢-٥٨".

(٤) قاشا، "الخوري" بيوس. حياة مريم العذراء. بغداد: مطبعة الديوان، ٢٠٠٤ "ص١٢٣".

(٥) ايشو عدنا ح. الديورة في مملكتي الفرس والعرب. المصدر السابق "ص ٦٠".

(٦) ماري بن سليمان. أخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل. طبع في روما، ١٨٩٩ "ص٢٨".

(٧) التاريخ الصغير "القرن السابع للميلاد" لمؤلف مجهول، ترجمة وتعليق الأب بطرس حداد. بغداد: مجمع اللغة السريانية/ المجمع العلمي العراقي، ١٩٧٦ "ص٦٣-٦٤".

(٨) الحموي الرومي، شهاب الدين ياقوت. معجم البلدان "مادة كسكر" مج٤ "ص١٣٨".

(٩) العلي، صالح احمد. معالم العراق العمرانية. بغداد: دار الشؤون الثقافية، ١٩٨٩ "ص٢١٦-٢١٨" نقلا عن فتوح البلدان للبلاذري "ص٢٠٩".

* أستاذ في الجامعة المستنصرية.